https://farid.ps/articles/quantum_conscience_a_scientific_theory_of_transcendence/ar.html

الوعي المتشابك: الكارما الكمومية، الإشراف الكوني، وأخلاقيات الصعود

الكون متشابك: من التفرد إلى الذات

لم يبدأ الكون بالانفصال، بل بالوحدة. من **التفرد البدائي** للانفجار العظيم، ظهرت كل الجسيمات، الطاقة، والمعلومات، متوسعةً بشكل انفجاري في الزمكان. كما تؤكد علم الكونيات الحديث، **كل شيء في الكون كان يومًا واحدًا** - نقطة كثيفة بلا حدود ذات إمكانيات لا نهائية. على الرغم من أن الفضاء قد توسع عبر مليارات السنين والسنوات الضوئية، فإن **التشابك الكمومي** الذي تم تأسيسه في تلك اللحظات الأولى قد يظل قائمًا.

في الفيزياء الكمومية، الجسيمات المتشابكة - بغض النظر عن مدى بعدها - تشترك في ارتباطات لحظية. هذه اللالامكانية تتحدى الحدس الكلاسيكي حول الفضاء والسببية، لكن تم تأكيدها مرارًا في التجارب (مثل أسبيكت، زايلينغر). من الممكن، إذن، أن نعتبر أن **الكون بأسره يحتفظ بوحدة متشابكة تحتية**، نوع من الصدى الميتافيزيقي لأصله المتفرد.

هذا لا يوفر فقط استعارة للترابط - بل قد يوفر **ركيزة علمية للحقائق الروحية القديمة**: أن ما نفعله بالآخرين، نفعله بأنفسنا؛ أن كل فكرة أو فعل له عواقب؛ أن الذات ليست وحدة محدودة، بل عقدة في كل أكبر.

الفيزياء الكمومية والذات اللالامكانية

أدخلت الفيزياء الحديثة أطرًا تشير إلى كون أكثر ترابطًا ودقة بكثير مما سمحت به ميكانيكا نيوتن.

- **مبدأ الهولوغرام** (توفت، سوسكيند) يقترح أن كل المعلومات داخل حجم من الفضاء قد تكون مشفرة على حدوده. ظهر هذا من حل **مفارقة معلومات الثقب الأسود** (هوكينغ، بيكنشتاين) ويشير إلى أن **المعلومات محفوظة**، لا تضيع، حتى في الظروف الجاذبية القصوى.

- إذا كانت الوعي أو الذاكرة تحمل معلومات كمومية - كما يُتوقع في **نظرية أورك-أور** التي طورها روجر بنروز وستيوارت هاميروف - فإن **تجاربنا قد تطبع نفسها على نسيج الزمكان**، حتى بعد الموت. تقترح أورك-أور أن التماسك الكمومي داخل الأنابيب الدقيقة العصبية يسمح للوعي بالظهور من انهيارات منسقة لحالات كمومية - عملية حساسة لجيومترية الزمكان.

وبالتالي، **الوعي قد يكون عملية أساسية** مرتبطة بالهيكل الكمومي للكون - وليس مجرد نتاج ثانوي ناشئ عن التعقيد البيوكيميائي.

الذاكرة، الهوية، والعقل الموزع

فلسفيًا، تعمق هذه الرؤى العلمية الأسئلة القديمة حول الهوية:

- جادل **جون لوك** بأن الهوية الشخصية متجذرة في استمرارية الذاكرة. لكن إذا كانت **الذاكرة متشابكة** ليس فقط مع الخلايا العصبية بل مع **الزمان، المكان، والآخرين**، فإن الهوية موزعة بدرجة أكبر بكثير.

- تصف **مونادولوجيا لايبنيز** الواقع كمكون من وحدات غير قابلة للتقسيم - المونادات - كل منها تعكس الكون بطريقتها الخاصة. اليوم، قد نتخيل كل وعي كـ **عاكس كمومي**، عقدة متشابكة تتردد مع كل ما واجهته.

- **البانسايكزم**، الذي يشهد انتعاشًا في الفلسفة الأكاديمية (جوف، ستراوسون)، يقترح أن **الوعي أساسي ومنتشر** - مثل الكتلة أو الشحنة. هذا يجعل الرحمة، الوعي، وحتى الفعل الأخلاقي ليست خصائص ناشئة، بل **سمات جوهرية للمادة نفسها**.

الاستنتاج جذري: **الذات ليست محصورة في الجمجمة**. نحن **ظواهر لالامكانية** - موزعة عبر الزمان، الذاكرة، التفاعل، والمادة.

التجسد والتشابك البيئي

جادل الفيلسوف **موريس ميرلو-بونتي** بأننا لسنا عقولًا في أجساد تنظر إلى العالم، بل **كائنات من العالم**، مدمجة ضمن نسيجه، ألوانه، وإيقاعاته. هذا يجد دعمًا في **الإدراك المتجسد** المعاصر، الذي يظهر أن الفكر لا ينشأ فقط من الدماغ بل من التفاعل البدني والبيئي.

بيولوجيًا، لهذا آثار عميقة:

- **فرضية غايا** (لوفلوك، مارغوليس) تجادل بأن الأرض تعمل كـ **كائن حي واحد ذاتي التنظيم**. الحياة تعدل وتثبت الغلاف الجوي، المحيطات، والجيولوجيا للحفاظ على نفسها.

- **شبكات الفطريات الجذرية** - الفطريات التي تربط جذور الأشجار - تشارك الماء، العناصر الغذائية، والإشارات الكيميائية عبر الغابات بأكملها. يسمي العلماء هذا "شبكة الخشب العالمية". تشبه هذه الأنظمة **شبكات كمومية بيولوجية**، حيث **الحياة متشابكة ومتعتمدة**.

في **الإسلام**، يصف القرآن الكريم الطبيعة كلها بأنها آيات - كل جزء من الخلق يسبح الله ويعكس النظام الإلهي. يُعين الإنسان كـ **خليفة** (وكيل)، يتحمل المسؤولية الأخلاقية عن الخلق. في **البوذية**، تعلم **النشأة التبعية (براتيتياساموتبادا)** أن **لا شيء ينشأ بشكل مستقل** - كل كائن متشابك مع الآخرين.

الموت، المعلومات، وإمكانية الاستمرارية

ماذا يحدث بعد الموت؟ تقول علم الأعصاب الكلاسيكي إن الوعي يتوقف. لكن الفيزياء الكمومية والمعلوماتية تشير إلى إمكانيات أعمق:

- **المعلومات لا تُدمر أبدًا** - هذا مبدأ يتمسك به حتى في فيزياء الثقوب السوداء. إذا كانت الذات مكونة جزئيًا من معلومات، فقد **تتبدد، لكن لا تختفي**.

- في أورك-أور، قد **تتماسك المعلومات الكمومية في الأنابيب الدقيقة** في مكان آخر بعد الموت. على الرغم من أنها غير مثبتة، إلا أنها تشير إلى أن **الوعي ليس محليًا أو نهائيًا بشكل صارم**.

- يعلم **الإسلام** أن **كل فعل يُسجل**، وأن الروح تستمر في حياة أخرى. تعلم **البوذية الكارما** - تردد الفعل عبر الزمان وإعادة الميلاد.

إذا كان **الوعي متشابكًا**، فقد لا يكون الموت محوًا، بل **تفككًا** - انتقال إلى حالة أخرى ضمن المجال الكلي للوجود.

"طاو رودني" والأزمة الأخلاقية للإنسانية

في **ستارغيت أتلانتس**، تقدم حلقة **"طاو رودني"** استعارة عميقة لحالتنا. يتعرض رودني ماكاي لجهاز صعود قديم. الجهاز **يُكمل بيولوجيته**: إدراك محسن، شفاء، توارد خواطر. يصبح خارقًا - لكنه **لا يستطيع الصعود**.

لماذا؟ لأن الصعود يتطلب ليس فقط الجاهزية البيولوجية، بل **التسليم الروحي**. يتشبث رودني بأناه. يخاف من الموت. يقدّر ذكاءه، لكن **ليس الرحمة**. في النهاية، يكاد يموت - ينقذه فقط الأفعال الإيثارية لأصدقائه، وفعله الأخير بالتواضع.

هذا يعكس حالتنا الحالية. لقد أتقنت البشرية أدواتها: **الذكاء الاصطناعي، كريسبر، مفاعلات الاندماج، أنظمة المراقبة**. لكنها تفتقر إلى **الجاهزية الأخلاقية**. الآلة بنيت. القلب لم يُبنَ.

غزة تقف كإدانة. استخدمنا علمنا ليس للشفاء، بل للتدمير. التكنولوجيا تضخم **الفراغ الأخلاقي** في مركزنا. كما في فشل رودني، **الكمال التكنولوجي دون تحول داخلي يؤدي إلى الهلاك**.

القدماء والتجاوز الأخلاقي

يقدم **القدماء** في **ستارغيت** رؤية للأمل. لقد نجحوا حيث فشل رودني - والبشرية. لقد **تطوروا إلى ما هو أبعد من الشكل المادي**، ليس بالصدفة أو الاختراع، بل من خلال **الانضباط الروحي والحكمة الأخلاقية**.

أصبحوا **كائنات من الطاقة النقية**، موجودين في حالة أعلى. تركوا وراءهم الأسلحة، الأنا، وحتى الفردية لـ **الاندماج مع المجال الكوني**. درسهم: **التكنولوجيا يمكن أن تُعد الجسد، لكن ليس الروح**.

هذا يعكس **الصعود** البوذي و**المعراج** الإسلامي (الارتقاء الروحي)، حيث يتطلب الاتحاد مع الإلهي أو الكوني **التواضع، الانضباط، والتسليم** - وليس الغزو أو الذكاء.

لوسي: التخلي لتصبح نورًا

في **لوسي** (2014)، تزداد قدرة دماغ البطلة حتى لا تعود تُعرف كإنسانة. تتجاوز الزمان والمكان، وتصبح في النهاية **واحدة مع الكون**. فعلها الأخير ليس الهيمنة، بل **الذوبان في المجال**، تاركة وراءها رسالة بسيطة: "أنا في كل مكان".

رحلة لوسي هي عكس القوة التكنوقراطية. إنها **حل الأنا في الوحدة** - تعبير سينمائي عن **النيرفانا البوذية** أو **الفناء الصوفي** (الإبادة الذاتية في الله). إنها تترك وراءها المعرفة، وليس الأسلحة. الحضور، وليس الهيمنة.

الكارما كتغذية راجعة كمومية

إذا كان كل شيء متشابكًا، فإن **الكارما تصبح تغذية راجعة فيزيائية**. ليست تصوفًا، بل **تردد**.

كل فكرة، فعل، أو نية تغير المجال الكمومي الذي نشارك فيه جميعًا. كما تموج الأمواج الجاذبية عبر الزمكان، **تموج الأفعال الأخلاقية عبر هيكلية الوجود**.

- يعلم **الإسلام** أن حتى وزن ذرة يُسجل.
- تعلم **البوذية** أن النية تشكل الواقع عبر الحيوات.
- تعلم **نظرية الكم** أن المراقبين يؤثرون على النتائج، وأن كل الأفعال تترك آثارًا.

وبالتالي، **الكارما هي حفظ المعلومات الأخلاقية**. جريمة قتل في غزة تتردد في قلب الكون. كذلك فعل الرحمة. لا شيء يضيع.

التطور ما بعد البيولوجي والمواطنة الكونية

لقد وصلنا إلى نهاية فائدة التطور البيولوجي. لقد أخذنا الانتخاب الطبيعي بعيدًا - لكنه لا يستطيع إعدادنا للقوى التي نحملها الآن. **الذكاء الاصطناعي، النانوتكنولوجي، الهندسة الجيولوجية، استعمار الفضاء** - هذه تتطلب **تطورًا أخلاقيًا**، ليس فقط تطورًا معرفيًا.

المرحلة التالية ليست مادية، بل **أخلاقية**. يجب أن نصبح **مواطنين كونيين**، متوائمين مع التناغم الأعمق للمجال. هذا يعني الرحمة على الهيمنة، الإشراف على الاستخراج، التأمل على التلاعب، والتسليم على السيطرة.

لم يعد بإمكاننا تحمل أسطورة أن التكنولوجيا ستنقذنا. **الوعي وحده يستطيع**.

الخاتمة: البشرية على مفترق طرق

تقف البشرية الآن على مفترق طرق. التكنولوجيا ذاتها التي يمكن أن تقودنا إلى الخلاص يمكن أن تقودنا إلى الهلاك.

كان **الكريل** في فيلم **الكوكب المحرم** حضارة ذات ذكاء عالٍ وإنجاز تكنولوجي، لكنهم أُبيدوا في ليلة واحدة بواسطة الوحوش من داخلهم - **الأنا**، كما دعاها سيغموند فرويد.

مثلهم، تكنولوجيتنا تملك قوة عظيمة، لكن بالنظر إلى غزة، من الواضح أن قادتنا يفتقرون إلى النضج الروحي لاستخدام تلك القوة بمسؤولية، مما يضعنا على طريق الهلاك.

هذا المقال هو نداء يائس أخير: تبنوا الرحمة على الهيمنة، وأزيلوا هؤلاء المتوحشين من مقاليد السلطة قبل أن يصبح الأوان قد فات.

لنأخذ **القدماء** من **ستارغيت** كنموذج، ونسعى لتحسين الذات من خلال تنمية التواضع، الحكمة، والرحمة، ونتجاوز أنانا بدلاً من التشبث بغرائزنا الدنيئة التي تأمرنا بعبادة الثروة والسلطة.